Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مدائحه للمعتصم يصور الربيع واصلا بينه وبين عصر المعتصم وكأنه يرى عصره ربيع العصور العباسية ، وقد مضى يحتكم فى هذا الوصف للربيع وفتنته بأنه مجمع الضدين : الصيف والشتاء ، فالصيف يتراءى فى طقسه والشتاء يتراءى فى زهره ، بل إن المطر فى الشتاء ليحمل بين أطوائه الصحو المشرق الجميل كما يحمل الصحو بترطيبه للجو نضرة المطر ، يقول :

مَطَرٌ يَذُوبُ الصَّحْوُ منه وبَعْدَه صَحْوٌ يَكادُ مِنَ الغَضَارة يُمْطِرُ

ويتسع به الخيال فإذا الندى الذى تترقرق حَبّاته على الأوراق والغصون كأنه طيب سقط من غدائر السحاب على لمم الثَّرَى ولِحَاه ، يقول :

ونَدىً إذا ادَّهَنَتْ بهِ لَمِمُ الثَّرَى خِلْتَ السَّحابَ أتاهُ وهْو مُعَذَّرُ

ويمضى فى حُلْمه ، فإذا هو يرى نفسه فى رياض الربيع وأضواء الشمس تخالط الورود والرياحين كأنه فى ليلة مقمرة جميلة ، والأحلام تفد عليه من كل صوب(١٤٤) .

وإذا أخذنا ننظر فى معانى مديحه ، وجدناه يحاول دائماً أن يستنبط منها مبتكرات طريفة مستمداً من مناجم عقله الغنية وكنوز أخيلته الثرية التى تحفل دائماً بما يملأ النفس إعجاباً به وبشعره ، كقوله يصف جود أبى دُلَف :

تَكادُ مَغانِيهِ تَهِشُّ عِراصُها فتركَبُ مِن شَوْقٍ إلى كلِّ رَاكِبِ(١٤٥) .

وقوله يصور جود المعتصم وكثرة بذله ونواله :

تَعَوَّدَ بَسْطَ الكفِّ حتَّى لَوَ أنَّهُ ثَنَاها لقَبضٍ لم تُجِبْه أنَامِلُهْ
ولَوْ لم يَكُنْ فى كَفِّهِ غيرُ رُوحِهِ لَجَادَ بها فَلْيَتَّقِ اللهَ سَائِلُهْ(١٤٦)

وقد تحول بوصفه بسالة الأبطال الذين تغنى بمديحهم وانتصاراتهم إلى ملاحم كبرى جسّم فيها بطولتهم تجسيماً يدلع الحماسة فى قلب كل عربى ويضرمها إضراماً ، ومن ذلك تغنيه ببطولة محمد بن يوسف الثغرى الطائى وما أنزله من صواعقعق الموت على رءوس الخُرَّمية أصحاب بابك ورءوس الروم ، وكأنه قيس يتغنى بليلاه ، ومن رائع ماله فيه قوله يصور هجومه من الجنوب

(١٤٤) انظر القصيدة فى الديوان ٢ : ١٩١ .
(١٤٥) المصدر نفسه ١ : ٢٠٤ .
(١٤٦) المصدر نفسه ٣ : ٢٩ .